كيف تناولت وسائل الإعلام الغربية محاولة الانقلاب في تركيا؟

أنس بيراقلي*

ملخص: تتناول هذه المقالة تغطية بعض وسائل الإعلام في عدد من دول أوروبا الغربية محاولة الانقلاب العسكري وحالة الطوارئ في تركيا، ومقارنتها بتغطية الهجمات الإرهابية وحالة الطوارئ في فرنسا. كما تتناول دور الإسلاموفوبيا والاستشراق في تغطية محاولة الانقلاب العسكري في تركيا. وأخيرًا تحلّل هذه المقالة تأطير أو سرد السياسيين الأوربيين للمظاهرات المناهضة للانقلاب التي نظمها الأتراك في البلدان الأوروبية وعلاقته بمفهوم الديمقراطية بوصفها حقيقة في الثقافة الديمقراطية الغربية. وقد أذهل ردّ فعل العديد من وسائل الإعلام الغربية والسياسيين تجاه محاولة الانقلاب العسكري الدموي في تركيا جميع شرائح المجتمع التركي.

* الجامعة الألمانية التركية، تركيا

How Western Media Covered the Coup Attempt in Turkey

ENES BAYRAKLI*

ABSTRACT This article examines the coverage of the 2016 military coup attempt and state of emergency in Turkey by some media outlets in a number of Western European countries. It compares this coverage with that of the terrorist attacks and state of emergency in France. It further examines the role of Islamophobia and Orientalism in the coverage of the military coup attempt in Turkey. Finally this article analyzes the framing and narrative on the part of European politicians about the anti-coup demonstrations of people of Turkish origin in European countries, and their link to the notion of democracy as a reality in Western democratic culture.

* Turkish German University, Turkey

رؤية تركية
2017 - (6/2)
139 - 127

المقدمة:

غطت وسائل الإعلام "الغربية" محاولة الانقلاب في تركيا يوم 15 يوليو 2016 بشكل مثير للدهشة، ولأن هذه الدراسة لا تهدف إلى تحليل جميع وسائل الإعلام الغربية، فقد وُضِعت كلمة "غربي" بين علامتي تنصيص، حيث إن كلمة "غربي" هنا تعني الغالبية العظمى من التغطية الإعلامية لأكبر وسائل الإعلام في الغرب، مثل صحف نيويورك تايمز، وفرانكفورتر، وتسايتونج، وكوريير إنترناسيونال. تتبنى هذه الدراسة مفهوم إدوارد سعيد للاستشراق في تغطية محاولة الانقلاب، التي وصفتها وسائل الاعلام الغربية بأنها إنقاذ للعلمانية على أيدي أنصار غولن في المجلس العسكري (سلام في الداخل سلام في الخارج). بالنسبة لسعيد، الاستشراق هو "التمييز بشكل أساسي بين الشرق والغرب كنقطة انطلاق لنظريات معقدة" وهذا يدخل في إطاره الأوصاف الاجتماعية، والحسابات السياسية فيما يتعلق بالمشرق وشعوبه، وعاداته وعقليته ومصيره وما شابه[1]. حيث يعتقد أن" الاستشراق يخدم القوى الغربية الكبرى" لترشيد الاستعمار الأوروبي القائم على المصالح التاريخية، والتي يرسم من خلالها "الغرب" "الشرق" كشيء مختلف للغاية وأقل شأنًا، وبالتالي يصبح الشرق في حاجة إلى التدخل الغربي أو في حاجة إلى "الإنقاذ". وعلاوة على ذلك يرى هذا البحث أن تغطية الإعلام الغربي لمحاولة الانقلاب العسكري تقوم بشكل أساسي على الإسلاموفوبيا. هناك تعريفات مختلفة للإسلاموفوبيا، لكن هذه الدراسة تعتمد على تعريف سابق لكاتب هذا المقال ولفريد حافظ. فعندما نتحدث عن الإسلاموفوبيا، يعني أننا نتحدث عن العنصرية المعادية للمسلمين. وكما هو مبين من دراسات معاداة السامية، فإن المكونات الاشتقاقية للكلمة لا تشير بالضرورة إلى معناها الكامل، ولا إلى كيفية استخدامها. هذا هو الحال مع دراسات الإسلاموفوبيا. أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا مصطلحًا معروفًا جدًّا، ويُستخدم في الأوساط الأكاديمية بقدر استخدامه في المجال العام. ومع ذلك، فإن الانتقادات التي توجه للمسلمين أو للدين الإسلامي ليست بالضرورة من الإسلاموفوبيا. ترجع الإسلاموفوبيا إلى مجموعة مهيمنة من الناس تهدف إلى الاستيلاء على السلطة، وتوسيع دائرة نفوذها عن طريق إيجاد كبش فداء، سواء أكان حقيقيًّا أم اختراعًا، ويستثنون كبش الفداء هذا من الموارد والحقوق. وتقوم الإسلاموفوبيا على خلق هوية ثابتة (للمسلم)، وتلصق بها جميع الصفات السلبية، وتعممها على جميع المسلمين. في الوقت نفسه، الصور المعادية للإسلام سائلة، وتختلف في سياقات مختلفة، كما أن الإسلاموفوبيا تخبرنا عن كراهية الإسلام أكثر مما تخبرنا عن المسلمين والإسلام"[2].

وبنـاء على هذه الخلفيـة النظرية، تحلّل هذه الدراسـة كيفية تغطية الانقلاب العسـكري في وسـائل الإعلام "الغربية" الكبيرة، وكيف تبنت التغطية منهجًا استشراقيًّا ومعاديًا للإسلام، وهـو ما أعاد إحياء المعتقدات القديمة التي عفا عليها الزمن حول الشرق والإسـلام والحكّام والمجتمعات المسلمة.

بين فرنسا وتركيا: تغطية إعلامية متباينة

بعـد محاولة الانقلاب الفاشـلة التي دبّرتهـا منظمة فتح الله غولن الإرهابيـة، والتي أودت بحيـاة 241 شـخصًا عـلى الأقل بينهـم 170 مدنيًّا، وإصابـة أكثر من 2191 شـخصًا، وبعد صمت معظم القادة السياسـيين الغربيين في السـاعات الأولى من محاولة الانقلاب– من المثير للاهتمام أن نلقي نظرة على كيفية تأطير وسائل الإعلام "الغربية" للمحاولة الانقلابية الفاشلة. فمثـلًا عند البحث عن كلمة (تركيا) في وسـائل الإعلام "الغربية" على شـبكة الإنترنت تظهر النتائـج الآتيـة: "الفصل الجماعي في تركيـا"[3]، "اتهامات بتعذيب الجنـود"[4]، "تركيا تمضي قدمًا ضـد الصحفيـين"[5] ...إلـخ. وقد تصاعد هـذا الموقف السـلبي الأحادي الجانب بشـكل كبير بعدمـا أعلنـت الحكومة التركية حالـة الطوارئ. وفي الوقت نفسـه، من المثير للاهتـمام أننا إذا بحثنا بشكل مماثل عن كلمة (فرنسا) على شبكة الإنترنت بعد إعلان حالة الطوارئ في أعقاب الهجـوم الإرهـابي في نيس تظهر النتائج الآتية: "فرنسـا بطل أوروبـا..."، "الهجمات الإرهابية في نيـس"، "حتـى اليسـاريين يلقـون باللـوم عـلى هولاند لكذبـه"، "ريهانـا تمنع ممارسـة لعبة البوكيمون في أثناء حفلاتها".

أن التغطية الإعلامية الغربية للأوضاع في تركيا توحي للقارئ أن أردوغان سيستخدم سلطته في تركيا للحدّ من الحريات الأساسية في حين توحي بأن حالة الطوارئ في فرنسا، فرضت فقط من أجل حماية المواطنين الفرنسيين وأنه لابد من اتخاذ الخطوات الضرورية ضد الراديكاليين

توضح هذه المقتطفات لعدد من العناوين الرئيسة أن التغطية الإعلامية لمحاولة الانقلاب في تركيا لم تركز في المقام الأول على محاولة الانقلاب ومدبريها، وتداعياتها الإنسانية الباعثة على الألم، ولكن ركزت بشكل أساسي على ردود أفعال القيادة السياسية في تركيا. أما بالنسبة للعناوين الرئيسة فيما يتعلق بالوضع السياسي في فرنسا بعد تمديد حالة الطوارئ فكانت مختلفة تمامًا، إذ لم تكن الموضوعات السياسية وغيرها، مثل ريهانا أو كرة القدم محل اهتمام التغطية الإعلامية، لكن مرتكبي الهجمات أنفسهم كانوا موضع اهتمام وسائل الإعلام بشكل كبير.

تتضح التغطية الإعلامية المتباينة وغير الموضوعية للحادثتين عند النظر إلى وسائل إعلام شهيرة؛ فقد نشر التلفزيون الألماني الأكثر شهرة ARD (الجمعيّة التعاونية للإذاعات القانونية العمومية للجمهورية الاتحادية الألمانية)، معلومات قصيرة في قناته ووسائل إعلامه الاجتماعية الخاصة، مثل الفيسبوك، ووضع تلفزيون ARD وقنواته الإعلامية والاجتماعية والصحف الألمانية البارزة، مثل صحيفة دي تسايت كلتا حالتي الطوارئ في أُطر مختلفة:

– فرنسا: "قرّر البرلمان الفرنسي تمديد حالة الطوارئ لمدة ستة أشهر" [6]

– تركيا: "فرض حالة الطوارئ في تركيا: أردوغان يتمتع الآن بسلطة واسعة" [7]

تُصوّر التغطية الإعلامية للوضع الفرنسي فرنسا دولة ديمقراطية متحضرة تحترم سيادة القانون، وتقدّم صورة متعاطفة معها، فلا يحتوي العنوان على أي تعليق سلبي أو إيجابي، ويمكن عدّه محايدًا تمامًا، ولكن على نقيض الحالة الفرنسية، فإن عنوان القضية التركية يحتوي على مدلول سلبي جدًّا يختزل العمليات السياسية إلى مجرد مسائل شخصية، ويزعم أن هذا من شأنه تعزيز سلطة الشخص الواحد وهو أردوغان، الذي شنّت عليه وسائل الإعلام الغربية حملة تشويه منذ سنوات. لكن في الواقع النظام شبه الرئاسي في فرنسا، يجعل الرئيس أقوى سلطة في الدولة، كما تعزز حالة الطوارئ من صلاحياته، بينما في حالة تركيا، فإن التهديدات الأمنية المتعددة الملموسة التي تواجه تركيا مثل داعش، وحزب العمال الكردستاني، ومنظمة فتح الله غولن FETÖ والتي تضع تركيا في مأزق سياسي، يتم تجاهلها واختزالها إلى مجرد انفراد شخص بالسلطة، أو كسب ميزات سياسية. في خمس نقاط تحت هذين العنوانين المتباينين جدًّا، وُصِفت حالة الطوارئ التركية بالطريقة الآتية: "الحريات المدنية معلّقة، إصدار قرارات لها قوة القانون، السيطرة على وسائل الإعلام، مصادرة العقارات، حظر السفر"[8]. وعلى النقيض من ذلك، اتسمت حالة الطوارئ الفرنسية بالأمور الآتية: "إغلاق المواقع

الإلكترونية، حلّ الجمعيات الراديكالية، تقييد حرية التنقل، الاعتقالات من المنازل، التفتيش بدون إذن قضائي"[9].

يبدو جليًّا أن التغطية الإعلامية الغربية للأوضاع في تركيا، توحي للقارئ أن أردوغان سيستخدم سلطته في تركيا للحدّ من الحريات الأساسية، في حين توحي بأن حالة الطوارئ في فرنسا، فُرِضت فقط من أجل حماية المواطنين الفرنسيين، وأنه لابد من اتخاذ الخطوات الضرورية ضد الراديكاليين. والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو أنه بالنسبة للحالة الفرنسية، مُدِّدَت حالة الطوارئ لمدة ستة أشهر أخرى بعد الهجمات الإرهابية في باريس، وقد حظي ذلك الخبر بتغطية إعلامية إيجابية من جانب غالبية وسائل الإعلام الغربية، ونادرًا ما ظهر أي انتقاد لقرار الحكومة الفرنسية.

أما في الحالة التركية، فقد مُدِّدَت حالة الطوارئ لمدة ثلاثة أشهر كحدّ أقصى، وأعلن الرئيس أن الحكومة ستحاول تقصير المدة حتى تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي في أقرب وقت ممكن. مما لا شك فيه، أن تباين التغطية الإعلامية للحالتين يثير الدهشة؛ ولاسيما عندما ينظر المرء إلى حقيقة أن تركيا شهدت سلسلة من الهجمات الانتحارية من قبل منظمات إرهابية، مثل حزب العمال الكردستاني وداعش التي قُتِل فيها 446 مدنيًّا[10] في العامين الماضيين وحدهما، إضافة إلى أن منظمة فتح الله غولن التي تسلّلت إلى الدولة التركية منذ حوالي أربعة عقود، حاولت إسقاط الحكومة بانقلاب عسكري دموي في 15 يوليو تموز 2016، وهو ما أسفر عن مقتل أكثر من 241 شخصًا. ومن ثَمّ إذا نظرنا إلى الأمور من وجهة نظر موضوعية، يتجلى لنا أن لدى الحكومة التركية كل المبررات لإعلان حالة الطوارئ في البلاد؛ مثل الهجمات الإرهابية المتعددة، ومحاولة الانقلاب العسكري، وصعود حزب العمال الكردستاني وداعش في سوريا والعراق.

لذلك فإن ما يعدّ حقًّا لفرنسا في حماية مواطنيها وأراضيها، يحرم على تركيا على أساس أنها ليست دولة غربية متحضرة يمكنها أن تدير مشكلاتها بنفسها، فهي من وجهة نظر الغربيين بلد مسلم شرقي يحكمه حاكم "مستبد شرقي"، وهو ما يمثل استمرارًا للصور النمطية الشرقية القديمة عن القادة المسلمين. إنّ مثل هذه التغطية المتحيزة هي حال معظم التغطيات الإعلامية في بلدان أوروبا الغربية.

العرض المتحيّز والتغطية العمياء

بالنظر إلى العناوين السابقة وإلى العديد من الأمثلة الأخرى يتضح أن غالبية وسائل الإعلام "الغربية" غطت محاولة الانقلاب بطريقة أحادية الجانب. بالنسبة لها لم يكن من الوحشية أن يرتكب الانقلابيون مذابح ضد المدنيين في الشوارع بالأسلحة الثقيلة، مثل

طائـرات الـF16 والدبابات والمروحيات، لكن احتشـاد الجماهير في الشـوارع اسـتحوذ على اهتمامها وفسّرته على أنه قسـوة ووحشـية ضد الجنود[11]. يبدو أن منطق محاولة الانقلاب تحوّل رأسًـا على عقب، ففي الواقع، أظهر الشـعب التركي شـجاعة ورقيًّا ومدنية كبيرة، وخرج إلى الشوارع لحماية الديمقراطية وسيادة القانون ضد المتآمرين الانقلابيين. ولكن عند قراءة وسائل الإعلام "الغربية"، يُلاحَظ أنها تعطي انطباعًا بأن الناس الذين خرجوا إلى الشـوارع ليسـوا إلا إسـلاميين متطرفين، وأتباع أردوغان، بل والمتعاطفين مع داعش. ومن ثَمّ يمكن المجادلة بأن وسائل الإعلام الغربية تجاهلت على نطاق واسع قتل المدنيين على أيدي الانقلابيين، وانتقدت وشـيطنت ونزعـت الشرعيـة عـن المدنيين الذيـن نزلـوا إلى الشـوارع للدفاع عن مسـتقبلهم وديمقراطيتهم.

في مقـال نـشره موقع (فوكس نيـوز) الأمريكي، أعلن رالف بيترز أن "الانقلاب الفاشـل الـذي وقع ليلة الجمعة كان أمل تركيا الأخير في وقف أسـلمة حكومتها وتدهور مجتمعها"[12]، ويبـدو واضحًـا هنا وقوف الكاتب في صفّ الانقلابيـين. وفي 19 يوليو / تموز، وبعد أيام من محاولـة الانقـلاب الدمـوي، نشرت صحيفـة نيويورك تايمز خبرًا على حسـابها الرسـمي على تويتر نسـبته إلى إحدى المقالات يقول: "إن أنصار أردوغان أغنام، سـيتَّبعون كل ما يقوله"[13]. بالرغم من أنّ الجملة المنشـورة على حسـاب تويتر لم تظهر في المقالة نفسـها، إلا أنها تشـير بقوة إلى الصحافـة المنحـازة. وأيضًا تظهـر كيف تنظر هذه الصحيفـة إلى المجتمع التركي من خلال الأفكار الاستشراقية، وكيف تنكر حق الشعب التركي المشروع في حماية حقوقه السياسية.

إن محاولة الانقلاب الفاشلة التي نفذتها منظمة فتح الله غولن في 15 يوليو / تموز والجرائم الشـنيعة التي ارتكبها الانقلابيون صدمت الغالبية العظمى من الشـعب التركي، ومع ذلك لم تكن مفاجأة كبيرة لأولئك الذين كانوا يراقبون توغل أتباع غولن (الغولونيين) في مؤسسـات الدولـة التركيـة لمـدة نصف قرن تقريبًـا. لذلك، فإن محاولـة الانقلاب لا يمكـن أن تُوضَع في إطار أنها معركة ضد الحكم (الديني)، وإنما على أنها تهديد للحكومة الشرعية من قبل مجموعة صغيرة، وهو ما يخشاه العلمانيون الكماليون أيضًا، وكذلك الجهات الديمقراطية المحافظة، مثل حزب العدالة والتنمية AKP.

ومـا يثير الدهشـة أيضًا أن غولـن وأتباعه ومؤسسـته، اللذين تَعُدّهـم الحكومة والمجتمع في تركيـا أنهـم من يقفـون وراء محاولـة الانقلاب، كانوا غائبـين تقريبًا عـن التغطية الإعلامية "الغربيـة". لكـن كلما وقع هجوم إرهابي أو محاولـة إرهابية في أوروبا، فإن القصص المتعلقة بتنشـئة الإرهابيـين، وظروفهـم النفسـية، وأيديولوجياتهـم، وشـبكاتهم، ومـا إلى ذلـك، تتمّ تغطيتها بشـكل مكثّف وعلى نطاق واسـع ولأسـابيع عديدة، لكن في حالة حركة غولن، يبدو

أن الأوروبيين لا يهتمون بهذه المنظمة تقريبًا، على الرغم من أن الحكومة التركية أوضحت أنها من يقف وراء المحاولة الانقلابية الفاشلة.

ومن المهم أن نلقي نظرة على حقيقة فتح الله غولن لنعرف حقيقة العلاقة بين تنظيمه وبين التغطية الإعلامية المتعلقة بها في الإعلام الغربي وفي هذا السياق فقد تلقّى غولن تعليمًا دينيًّا منذ صغره، وعمل إمامًا في المساجد العامة، وذاع صيته بعد أن بدأ في إزمير بإلقاء خطب عديدة، التي سُجِّلت ووُزِّعت بين الناس المتدينين في تركيا. كان غولن مختلفًا عن بقية الأئمة في تركيا، إذ استخدم أسلوبًا يثير العاطفة ويحرك المشاعر. اشتهر غولن بلقب "الإمام الباكي"، وكان يتحدث كما لو كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم حاضرًا في خطبه، وألمح إلى أنه رأى الأنبياء وغيرهم من أولياء الله الصالحين في منامه، وأنه المسيح المنتظر. وقد جذب هذا النمط من الوعظ العديد من المسلمين في تركيا، ولاسيما مع براعة غولن في إثارة المشاعر الدينية والتلاعب بها، ولكن عندما بدأ غولن في تأميم تنظيمه بعد انتهاء الحرب الباردة، قدم نفسه على أنه رجل دين منفتح، ودعا إلى الحوار بين الأديان والتعايش بينها، ومن هنا رُحِّب به في الغرب.

إن محاولة الانقلاب الفاشلة التي نفذتها منظمة فتح الله غولن والجرائم الشنيعة التي ارتكبها الانقلابيون صدمت الغالبية العظمى من الشعب التركي ومع ذلك لم تكن مفاجأة كبيرة لأولئك الذين كانوا يراقبون توغل أتباع غولن (الغولونيين) في مؤسسات الدولة التركية لمدة نصف قرن تقريبًا

وعلى مدار 50 عامًا شيّد غولن إمبراطورية من المدارس والجامعات والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات والبنوك والشركات التي انتشرت في 140 بلدًا في جميع أنحاء العالم، وليس سرًّا أن كل هذه المؤسسات تخضع لسيطرة غولن، وتُقدَّر قيمتها المالية الإجمالية بنحو 150 مليار دولار، ولم يسيطر غولن وتنظيمه الإرهابي على هذه المؤسسات فحسب، بل أيضًا على الحياة الخاصة لأتباعه، ووصلت سيطرته إلى حدّ اختيار شريك الحياة لمريديه. يخضع أتباع غولن لقواعد وأنظمة صارمة تهدف إلى تدمير أي تفكير نقدي عقلاني. ومن ثَمّ فإنهم يشبّون على طاعة أوامر المنظمة بدون أي اعتراض. فمثلًا بالرغم من أنه يَحْرُم على المسلمين شرب الكحول ينصح الغولنيون (أتباع غولن) بفعل كلّ ما هو ضروري لإخفاء نواياهم الحقيقة، والتوغل في المجتمعات الليبرالية الغربية. وعلى الرغم من أن الحركة الغولينية تصوّر نفسها على أنها حركة منفتحة وليبرالية، إلا أن وجهها الحقيقي استبداديّ وقمعيّ، ووفقًا للمعايير الغربية يُعدّ هذا النوع من التعليم والتلقين مقلقًا، ومع ذلك، فإن غالبية وسائل الإعلام "الغربية" تتجاهل هذا الجانب المظلِم للمنظمة الإرهابية الغولينية، وتصورها على أنها معارضة سياسية تركية شرعية، تقاتل حكومة تزعم أنها استبدادية.

نظريات المؤامرة

رغم أنّ من الواضح أن غولن وأتباعه كانوا وراء محاولة الانقلاب الدموي، إلا أن تصوير وسائل الإعلام "الغربية" للحدث كان على عكس الحقيقة؛ إذ زعمت وسائل الإعلام الغربية أن الرئيس أردوغان نفسه كان وراء محاولة الانقلاب لتحقيق أهداف خاصة به، وتوطيد سلطاته، وجعل نفسه الرئيس القاهر. وردّد عدد من السياسيين بحذر هذه الرواية التي لا تُصدَّق، مع وضع علامات استفهام، ورأوا أن أردوغان سيستغل محاولة الانقلاب لتوسيع سلطاته، ومن المثير للاهتمام أن هذا التفكير التآمري لم يُطبَّق على هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية على سبيل المثال. ففي أعقاب تلك الهجمات، لم يتلفظ أحد بحرف، أو يناقش ردود فعل إدارة بوش التي تشير إلى أنها كانت تتوق إلى مثل هذا الهجوم؛ لتوسيع مجال سلطاتها السياسية، ولإضفاء الشرعية على غزو العراق، وغير ذلك من السياسات، وفي حين أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية أضفت الشرعية بالتأكيد على هذه التدخلات السياسية لإدارة بوش، كما حدث مع الهجمات الإرهابية في فرنسا في عام 2015، حيث تمكنت الحكومة الفرنسية من قمع مظاهرات النقابات العمالية، مرة أخرى لم ينطق أي محلل سياسي بلفظ يوحي بأن هجمات 11 سبتمبر كانت عملًا مدبرًا داخليًّا، أو أن الحكومة الفرنسية خططت لقتل صحفي شارلي إبدو لإقرار قانون العمل الجديد. وعلى نقيض ذلك، طُبِّقت هذه النظرية التآمرية على أردوغان ونُعِت بـ"السلطان" و"المستبد القاسي"؛ تمشيًّا مع

الخيال الاستشراقي لـ"الحاكم المسلم الدموي". وفي صحف اليمين المتطرف، مثل صحيفة Preußische Allgemeine Zeitung الألمانية، كان الحديث عن هذه المؤامرة بشكل علني تمامًا: "محاولة الانقلاب العسكري في تركيا من فعل هواة، وردّ فعل أردوغان كان مُعدًّا بشكل جيد"[14]. كل هذه التغطيات الإعلامية تجاهلت حقيقة أن مجلس الأمن القومي التركي أعلن أن حركة غولن تمثل تهديدًا أمنيًّا في مارس 2015، ومن ثَمّ فإن جميع أعضائها وأنشطتهم كانت تحت المراقبة من قبل المخابرات التركية لوقت طويل.

وسائل الإعلام الدولية تحقق في ديمقراطية تركيا

بناء على ما سبق، لم تركّز وسائل الإعلام "الغربية" على محاولة الانقلاب، بل على أردوغان وقوته في تركيا، وتصويره على أنه حاكم مستبد، فجاء عنوان في الإيكونومست كما يأتي: "انتقام أردوغان"[15]، ووصفت صحيفة دير شبيغل الألمانية أردوغان في أحد عناوينها بـ"الديكتاتور أردوغان والغرب العاجز: ذات مرة كانت هناك ديمقراطية"[16]، وكان أحد عناوين صحيفة فرانكفورتر ألجمينه تسايتونج الألمانية: "شياطين أردوغان". أما صحيفة كوريه إنترناسيونال الفرنسية فجاء فيها: "تركيا: انقلاب فاشل وفائز واحد: أردوغان".

تُبيّنُ لنا هذه العناوين أن تركيز وسائل الإعلام الغربية لم يكن على محاولة الانقلاب نفسها، كما أن ردود فعل القادة السياسيين الغربيين كانت مترددة، بل إن عددًا من وسائل الإعلام تحدث عن نظريات المؤامرة، زاعمًا أن الرئيس أردوغان شارك بنفسه في الخطط واستخدم الانقلاب لتوسيع سلطته.

مما نشر دومًا على مدار العامين الماضيين حول تركيا في وسائل الإعلام "الغربية"، يبدو كما لو أن الديمقراطية هي قيمة غربية لا يمكن أن تُمارَس وتُعاش في مجتمع إسلامي. علاوة على ذلك، تشير التصريحات المغرضة إلى أن الصحافة الغربية متحيّزة ضد الحكومة التركية والجماهير المحافظة التي تدعمها، والأهم من ذلك، فإنها تعني من وجهة نظرهم، أن الشعب التركي ولاسيما المحافظين لا يستحقون الديمقراطية، فمن خلال تركيز وسائل الإعلام الغربية على بعض الحالات غير المألوفة خلال مظاهرات الشوارع، مثل الشعارات الدينية، والتركيز على بعض المتظاهرين الذين يبدو من مظهرهم أنهم متدينون، رأت تلك الصحافة المتحيزة أن هؤلاء لا يمكن أن يتظاهروا من أجل الديمقراطية، ناهيك عن إشكالية الخبر الذي نُشر، وجاء فيه أن "أنصار أردوغان أغنام سيتّبِعون كل ما يقوله". الأهم من ذلك أنه نهجًا معادِيًا للإسلام ينكر حق الشعب التركي في تقرير مصيره السياسي. ومع ذلك، فإن مشاهدة العديد من تسجيلات الفيديو لتلك الليلة الرهيبة تظهر أن الشعب التركي بجميع شرائحه يمتلك شجاعة مدنية كبيرة، ووعيًا سياسيًّا قويًّا.

أيضًا تجاهلت وسائل الإعلام صور شجاعة النساء التي لا تُصدَّق، أولئك اللاتي نزلن إلى الشوارع، وعرضن حياتهن للخطر دفاعًا عن الديمقراطية، ولاسيما شجاعة العديد من النساء المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب على جسر البوسفور، وهي الصورة التي حطّمت الصورة النمطية المتحيّزة ضد للمرأة المسلمة التي تُصوَّر على أنها مقهورة. وكانت إحدى الصور مثيرة للانتباه: امرأة محجبة تتحدى الجنود الانقلابيين على الجسر، على الرغم من تعرّضها للضرب عدة مرات، في الظروف العادية كان من المفروض أن تصبح هذه الصورة محلًّا للإشادة، بل ورمزًا للشجاعة المدنية، مثل رجل الدبابة الشهير في ميدان تيانانمن بالصين، لكن مع ذلك، لأنها امرأة محجّبة تم تجاهل شجاعتها على نطاق واسع.

ردود الأفعال السياسية المحلية

بالطبع، ليس من المستغرب أن يضع السياسيون القصة في إطارهم الخاص، فبعد وقت قصير من قمع محاولة الانقلاب، كان من المثير للقلق أن نسمع العديد من السياسيين الغربيين يقولون "يجب على جميع الأحزاب في تركيا دعم الحكومة المنتخبة ديمقراطيًّا في تركيا، وضبط النفس، وتجنّب أي عنف أو إراقة دماء"[17] (جون كيري). إنّ هذه العبارة وضعت الحكومة المنتخبة ديمقراطيًّا في نفس مستوى المتآمرين والانقلابيين، وما يبعث على القلق أيضًا أن العديد من الزعماء السياسيين لم تكن لهجتهم حادة تجاه محاولة الانقلاب، كما أنهم لم يهنّئوا الناس في الشوارع، الذين دحضوا الانقلاب العسكري الخامس في التاريخ التركي الحديث.

وبالنظر إلى الحالة النمساوية، يمكن للمرء أن يلاحظ تداعيات تلك الأمور على السياسة الداخلية. فالنمسا بها أقلية كبيرة من الأتراك، الذين نزلوا إلى الشوارع في ليلة محاولة الانقلاب للاحتفال بنجاح الدولة الديمقراطية ضد الانقلابيين، وفي اليوم التالي أيضًا، خرجت مظاهرة أخرى، وأُصيب عدد قليل من المتظاهرين بأحد المطاعم الكردية كما زُعِم، وأدان منظمو المظاهرة تلك الواقعة، وبينما خرج الناس من الشرائح كافة والأطياف السياسية كافة إلى الشوارع لمكافحة الانقلابيين- ادّعت وسائل الإعلام النمساوية أن هؤلاء المتظاهرين موالون ومؤيدون لأردوغان. وكان ردّ أحد نواب الخضر قاسيًا، إذ جاء على لسانه: "لا أريد أي توجهات تركية في النمسا". وقال وزير الداخلية: "نشر الآراء التركية في النمسا تحت عباءة الحرية من خلال التظاهر أمر غير مقبول". وقال وزير التكامل والشؤون الخارجية: "كل من يريد المشاركة في السياسة الداخلية التركية حرّ في مغادرة بلادنا"، وطالب المواطنين ذوي الأصول التركية بالولاء للنمسا[18]. ودعا عمدة محافظ في إحدى المدن الأتراكَ إلى عدم وضع العلم التركي في أي مكان في منازلهم أو في شرفاتهم، وقال: "من يدعم أردوغان فليغادر

بلدنا"[19]. ودعا نوربرت هوفر المرشح اليميني المتطرف للانتخابات الرئاسية بناء على هذه التصريحات الاستبعادية للسياسيين من الأحزاب الوسطية، الحاكمة والمعارضة- إلى حظر الجنسية للمواطنين الأتراك الذين يحملون جنسيتين[20]. إن هذه التصريحات تشير بوضوح إلى تحول الخطاب السياسي للسياسيين إلى خطاب اليمين المتطرف؛ ليس فقط منع المشاركة في سياسة البلدان الأخرى، ولكن أيضًا من المثير للقلق أن نسمع مثل هذه الأصوات المتحيّزة ضد أقلّية بعينها. لقد عُرِّف الولاء بمعنى إقصائي وضيق. عندما يشير الخطاب إلى أن العديد من الناس من الأصول التركية والأيديولوجيات السياسية المختلفة يجب أن يغادروا البلاد بدلًا من تهنئتهم على إخفاق محاولة الانقلاب ضد الحكومة المنتخبة ديمقراطيًّا، فهذا يدل على أن السياسيين يسيرون على نفس الدرب المتحيّز. كذلك، عندما تبني الصحافة الشعبية، موادّها الصحفية على هذا الخطاب، وتقول في أحد إعلاناتها: "السفر إلى تركيا لن يدعم سوى أردوغان"[21]، فهذا يشير إلى أن الثقافة الديمقراطية للمجتمع الأوروبي تضعف بسرعة شديدة جدًّا.

الخاتمة

بالنظر إلى الصورة المذكورة أعلاه يمكن للمرء أن يستنتج انحياز وأحادية جانب تغطية وسائل الإعلام الغربية لمحاولة الانقلاب في تركيا. كما أن هذه الصورة توضح الحقائق التي صمتت عنها وسائل الإعلام، وتسلّط الضوء على كيفية قلب وسائل الإعلام الغربية للحقائق حول محاولة الانقلاب عن طريق تحويل المتظاهرين المدنيين إلى مرتكبين للتعذيب، في الوقت الذي صمتت فيه عن وحشية العسكريين، وتكشف أيضًا عن علاقة هذا التحيّز بالصورة الاستشراقية المغرضة للمجتمعات الإسلامية، فالديمقراطية هنا، بطريقة إسلاموفوبية، تصبح قوة رائدة عندما تعني ضمنًا أنها تنتمي إلى الغرب، ولا يمكن أن تكون جزءًا من أي مجتمع مسلم. إن تجاهل القوة الديمقراطية للناس في الشوارع التركية يدل على أن مفهوم الديمقراطية لديهم هو مفهوم "غربي" بشكل حصري، لا يخّص أحدًا سواهم. في الوقت نفسه، كان لهذه المناقشة الأحادية الجانب تأثير واضح في السياسة الداخلية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ردود الأفعال حول مظاهرات الأتراك في العديد من الدول الأوروبية، كما يمكن استنتاج أن الأفكار اليمينية التي تحمل في طياتها عداءً للإسلام والمسلمين انتشرت بشكل أكبر من خلال التغطية الإعلامية المنحازة، كما أن منع أردوغان من التحدث إلى المتظاهرين في كولونيا عبر الاتصال بالفيديو يكشف كيف تتناقض المعايير الديمقراطية مع بعضها في المجتمعات الغربية بحجة مكافحة التطرف.

الهوامش والمصادر:

1. Edward, Said; Orientalism, Penguin, London, 2003, p.3
2. Enes Bayraklı & Farid Hafez, European Islamophobia Report 2015, Istanbul, SETA, 2016, p.7
3. Turkey coup: Purgewidenstoeducationsector, BBC, 19 July 2016,http://www.bbc.com/news/world-europe-36838347
4. Turks fearfordetainedsoldiersasErdoğanlaunchesfresh crackdown, The Guardian, 23 July 2016 https://www.theguardian.com/world/2016/jul/23/turkey-coup-arrests-erdogan-witch-hunt
5. Turkey issuesarrestwarrantsfor 42 journalists after failedcoup, CNN, 25 July 2016, http://edition.cnn.com/2016/07/25/-/turkey-coup-attempt-world aftermath
6. Ausnahmezustand soll weiter gelten, ARD, 10 Dezember 2016,http://www.tagesschau.de/ausland/ausnahmezustand-frankreich-113.html
7. So viel Unterstützung war nie, Die Zeit, 17 July 2016, http://www.zeit.de/2016/recep-tayyip-erdogan-tuerkei-putsch-militaer/07-politik/ausland.
8. Warnung vor Rache und Willkür, ARD, 16 July 2016, http://www.tagesschau.de/ausland/tuerkei-reaktionen-109.html
9. Ausnahmezustand soll weiter gelten, ARD, 10 Dezember 2016,http://www.tagesschau.de/ausland/ausnahmezustand-frankreich-113.html
10. https://onedio.com/haber/en-az-446-canimiz-gitti-son-bir-bucuk-yilda-turkiye-de-gerceklesen-31-teror-saldirisi-719006
11. Turkish soldier 'beheadedby pro-governmentmob on Istanbul'sBosphorus Bridge' after failedcoupattempt, Daily Mirror, 16 July 2016, http://www.mirror.co.uk/news/world-news/turkish-soldier-beheaded-pro-government-8433319
12. Ralph Peters, Turkey's last hope dies,16 July 2016 turkeys-last-hope-dies.html/16/07/http://www.foxnews.com/opinion/2016
13. https://twitter.com/nytimesworld/status/755364571389591558
14. Konterschlag von langer Hand: Der Putschversuch der Militärs in der Türkei war dilettantisch, Erdogans Reaktion dagegen gut vorbereitet, Preussicshe Allgemeine Zeitung, 25 July 2016 http://www.preussische-allgemeine.de/nachrichten/artikel/konterschlag-von-langer-hand.html
15. The failedcoup in Turkey, Erdogan’srevenge:Turkey’spresidentisdestroyingthedemocracythat Turks riskedtheirlivestodefend, Economist, 23 July 2016
16. Der Spiegel, 23 July 2016, No: 30, http://www.spiegel.de/spiegel/print/index-2016.html.30

17. U.S. Calls on All Partiesto Support Turkey'sDemocraticallyElectedGover nment, Haaretz, 16 July 2016, http://www.haaretz.com/middle-east-news/ turkey/1.731266http://www.haaretz.com/middle-east-news/turkey/1.731266

18. Hofer: Einbürgerungsstopp von türkischen Migranten, Krone, 21 July 2016 http://www.krone.at/oesterreich/hofer-einbuergerungsstopp-von- tuerkischen-migranten-nicht-hinnehmbar-story-521005

19. Türkische Flagge in Wiener Neustadt verboten, Daily Sabah, 28 July 2016 tuerkische-flagge-/28/07/http://www.dailysabah.com/deutsch/europa/2016 in-wiener-neustadt-verboten

20. Hofer: Einbürgerungsstopp von türkischen Migranten, Krone, 21 July 2016 http://www.krone.at/oesterreich/hofer-einbuergerungsstopp-von- tuerkischen-migranten-nicht-hinnehmbar-story-521005

21. Wiener Flughafen: „Mit Türkei-Urlaub unterstützt man nur Erdoğan“, 31 July 2016, Daily Sabah wiener-flughafen-/31/07/http://www.dailysabah.com/deutsch/politik/2016 mit-tuerkei-urlaub-unterstuetzt-man-nur-erdogan